

د. عماد كريم الراوي
المرحلة الثانية
العادة / تاريخ الدولة العثمانية
عنوان المحاضرة (ميزانية الدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر)

ميزانيات الدولة العثمانية بعد منتصف القرن السابع عشر

في الجدول (قم ٩) مبالغ دخل ومصاريف ٢١ ميزانية للدولة العثمانية تقاد تكون الأخيرة (التي تعود لسنة ١٧٤٩م) ثلاثة أضعاف الأولى (أي ميزانية ١٦٤٢م). فمعنى ذلك أن الميزانيات خلال قرن واحد تضاعف حجمها ثلاث مرات. ولا بد أن يكون للتضخم التضادي أثره في ذلك، فمسعر الذهب البندقاني كان في ١٦٤٢م، ١٢٠ آقجة ونصار ٤٤٠ آقجة في سنة ١٧٤٢م، وإذا أرجعنا التضاد إلى قيمة الحقيقة أو أعددنا الميزانية بالذهب نلاحظ أن ليس هناك ارتفاع في الدخل والمصروف. ويجب أن يذكر أن الدولة العثمانية فقدت قسماً كبيراً من أراضيها تخلت عنها لروسيا والنمسا والبندقية وأيران، وقدرت بذلك دخل هذه الأمة. ولا بد من أن تكون كوارد الحكومة في الأراضي المحتلة قبيطة. ولذا نجد في الميزانيات حتى ميزانية ١١٠هـ. قسماً تحت عنوان (متنع الحصول) فمنها ما تنتهي بـ «جوروك» (أي عامل) ومنها ما تنتهي بـ (بي حاصل) (ولا يرجى منه حاصلاً) ومنها ما وقع بأيدي الكفار (استيلاء كفرة) ولمجرد.

جدول رقم (١١)
توزيع المصروف في ميزانيات
آخر القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر

مليون الجنيه

	النحوين مليون الجنيه	رسالياته مليون الجنيه	خاص مليون الجنيه	المسلية مليون الجنيه	الواجب نفقة	الواجب الجنيه	ميزانية سنة
أوجاتلوك	٢٠,٨		٤,٩	٦٠٠,٠	٣٠٨,٥٣٠	٣٧٧,٨	١٠٦٣
١٩٩,٣							
٠٤٦,٤	١٧٦,٩	-	-	١٢٠,٠	١٠٢,٠٤١	٣٩,٩	١٠٦٤
	١٦٣,٦	-	-	١٢١,٣	٩٤,٩٧٩	٣٨,٧	١٠٦٥
	١٦٣,٣	٣٩,٦	-	١٢١,٣	٨٦,٦٤١	٢٨٠,٧	١٠٦٦
	٨٢,٩	٤١,٠	-	١٢١,٣	-	٦٧,٦	١٠٦٧
	١٠٩,٢	٨٦,٦	٤٧,٦	٨٦,٣	-	٤٣,٦	١٠٦٨
	١١١,١	٧٤,٤	٩٤,٦	١٢٩,٦	١٢٢,٥٩٩	٥٢٦,٦	١٠٦٩
	١١١,٠	٦٨,١	٦٦,٣	١٣٢,٦	١٢٨,٦٢٣	٥٣٦,٢	١٠٧٠
	١١٠,١	٧٣,٠	٦٧,٦	١٢١,٦	-	٤٦,٦	١٠٧١
	١٢٠,٧	٧٧,٤	٧١,٠	١٢٣,٦	١٢٦,٦٠٨	٦٨٢,٦	١٠٧٢
	١١٦,٦	٩١,٠	٧٠,٨	١٨١,١	١٩٢,٨٨١	٣٣٨,٦	١٠٧٣
	١٢٩,٥	٨٥,٩	٦٩,٦	١٦٣,٤	١٩٩,٧١٢	٧٠٤,٨	١٠٧٤
	١٠٥,٩	٥٣,٩	٤٨,٠	١٦١,٧	١٧٦,٢٩٨	٣٧٦,٠	١٠٧٥
	١١٤,٧	٥٣,٦	٤١,١	١٤٣,٧	١٧٢,٩٧٣	٦٦٧,٦	١٠٧٦
	١٢١,١	٤١,٢	٧٧,٣	١٠٣,١	١٧١,٢٧٥	٦٧٣,٠	١٠٧٧
	١٢٥,٨	٤٢,٩	٥٦,٣	١٤٢,٤	١٩٣,١٤٣	٦٣٠,٧	١٠٧٨
	١٢٦,٨	٤٢,٨	٧٧,٤	١٢٢,٠	١٧٦,٣٩٧	٦١٩,٨	١٠٧٩
	٩٨	٤٢,٣	٤٠,٤	٣٠٠,٤	-	١,٤٩٤,٠	١٠٧٧

ومن الدخل ما يخص من بعض المصاريق كاداء الديون وإعادة أموال الأوقاف ومنها ما كان اعفاء مقابل بعض الخدمات ولو كان «أوجاتلوك» (أي مخصص لجهة ما، كحاصل بعض الضرائب المعفية لقاء البيض أو الدجاج المخصص لطبع القرص أو الحطب للمطابخ أيضاً) فإن هذه الأشياء معدودة دخلاً ومصروفاً، فكان الدفتردار ينزلها من الدخل لكنه لا تزيد أرقام الدخل عن المصروف. وقد أعطينا أرقام الدخل في الجدول رقم ٩ مبالغ غير صافية إذ يجب أن يطرح منها ما في العمودين اللذين يليان عاصد الدخل. وتفصيل بعض الميزانيات نوعية الضرائب ما بين مقررة وغير مقررة (أي ما هي من نوع العوارض).

اما الجدول رقم (١٠) فانه يعطينا فكرة عن الدواوين المالية والمقدار التي كانت تجبيها. ويمكن تقسيم الدواوين المالية كما يشير الجدول الى قسم دواوين المحاسبة وهي ثلاثة اصبحت بعدها أربعاً بالإضافة الى دواوين المقاطعات. ثم دائرتين على حدة هما:- دائرة الموقوفات التي تهم بالضرائب من نوع العوارض، ثم الدفتردار الشق الثاني وهي مقاطعة «البسقوبوسية» (أي المطرانية) ودخلها مقرر لا يتبدل فهي العائد التي كانت تجبي من المطرانية... دواوين المحاسبة قديمة. وأهمها دائرة المحاسب الاول (الذي كان هو الدفتردار نفسه) وهذه الدائرة كانت تشرف على القسم الاكبر من جبايات الولايات التي أصبحت بعد أن كانت خاصة بالانتصوص وروم ايلى تشرف على الاماكن الاخرى فكان لها دفتردار محلي مستقل. وقد ازداد دخلها قبلاً ما كان عليه في نهاية هذه الفترة ما كان في بدايتها. اي ان نسبة الزيادة في هذه الدائرة هي نسبة الزيادة العامة في الميزانيات من حيث المجموع، الا السنة ١٩٦١هـ / ١٧٤٢ م) فان زیادتها وصلت خمسة اضعاف ما كانت عليه في الميزانية الاولى، ولكن معدل الزيادة هو اثنان او ثلاثة بينما الزيادة في محاسبة الجزية هو اكثر من ثلاثة من حيث المعدل، وقد فاقت محاسبة الجزية المحاسبة الاولى من حيث الجباية مدة طويلة الى ان سبقتها المحاسبة الاولى بمبلغ قليل في ١٩٦١هـ، ومحاسبة الحرمين كذلك عرفت الهبوط والصعود.

اما دواوين المقاطعة فان عددها كان يبلغ ١٢ دائرة، وكانت موزعة في القرن السادس عشر على الدفتردار الشق الاول والثاني في روم ايلى والانتصوص. فاستقلت ولم يعد هناك الا دفتردار واحد.

اما المقاطعة فهي دخل للدولة من مصدر ما توجره بالالتزام او بما يقام مقامه مثل مقاطعة جمرك استانبول او جمرك دمشق، والمهم منها هو جباية عشر الاموال التجارية في مبني الجمرك عند تصديرها او استيرادها. ونسبة الجمارك محددة تعينها القوانين. فان شامت الدولة وظفت موظفاً يقوم بجباية الجمرك ويتقاضى عليه اجرة ويدفع ما حصل للخزانة وهو غير مسؤول عن الزيادة او النقص فهو «امين» بالنسبة للدولة يدفع ما دخل تحت امانته اليها. ولكن هذا الامين اذا شاء تعهد للدولة ان يدفع لها حتى نهاية ثلاثة سنوات مما يجبه مبلغ كذا على شرط ان يبقى اميناً، فهو في هذه الحالة امين على سبيل الالتزام (او بالمصطلح العثماني امين بروجه التزام) يأخذ اجرته مما يقبض ويضطر ان يفني بعهده وأن يتم عند ختام المدة التي يطلق عليها اسم «تحويل»، جميع ما تعهد به من مبالغ ولا صور وبيع امواله ثم صوره كفلاً، وقد يلتزم المقاطعة، عند المزايدة

أحد الممولين أو أصحاب المبادرة، على أمل أن يحصل على مبلغ أكبر مما تعهد له لأن الملتزم تاجر يلتزم لربح.

ومن أنواع المقاطعات جباية حصة الخزانة من حاصل المعادن في مكان ما، أو التزام ضرب العملة الفضية أو الذهبية في دار يلد ما، أو قبان الحرير أو باج الأسرى وما إلى ذلك، ومن نماذج الضرائب المدنية الوثيقة المصورة والجدول رقم ٢ فهذه الوثيقة تبين أنواعاً من المقاطعات التي كانت توجد في مدينة دمشق الشام.

ومن أهم هذه الدواشين دائرة مقاطعة الخواص السلطانية ومقاطعة المعادن، ويجب أن لا يعطي العنوان المعنى المطلق للاسم دائرة مقاطعة كلها كانت بالمقاطعات التي كانت في غرب الأناضول جنوب بروسيا.

أما الجدول رقم (١١) فيعطي فكرة عن تفاصيل المصارييف والجهات كانت تصرف فيها، والمصارييف بصورة عامة جلها عسكرية، والجزء الأكبر منها مخصص للمواجب أي الطوفات (نفقات أو رواتب الجندي) الذي كان عدده في هذه الفترة يزيد وينقص حسب الظروف وحاجة الجبهة أو الجبهات العربية، وتجد في قوائم المواجب أن الكاتب كان يميز بين الجندي القداماء والجدد، والجدول أدناه يعطي فكرة عن تركيب الفرق العسكرية من قديم وجديد ومجموع ما بلغت مواجههم (نفقاتهم).

الجدول رقم (١٢)

مقدار بعض الفرق العسكرية وما يبلغه قسط من أربعة القساطتهم السنوية

السنة	النوع	السداد		السداد		السداد	
		نفقة	المواجب	نفقة	المواجب	نفقة	المواجب
١١٠٣	قديم	٦,٨٨٧,٩٩٦	٢,٤٣٥	٨,٣٣٠,٨٥٩	٤,٣٦٣	٢٥,٩٢٢,٤٢٢	٣٥,٨٣٩
١١٠٤	جدد	١٢,١٦٠,١٣١	٧,١١٧	١٢,٢٩٧,٩٦٠	٦,٥٩٦	١٨,٤٤٧,٧٣٦	٣٣,٩٠٦
١١٠٥	قديم	١١,٩٥٩,٨٨٣	١٠,٦٦٧	١١,١١٩,٧٦١	١١,٣٦١	١٥,٣٧٧,٢٩٧	١٥,١٨٨
١١٠٦	جدد					١٧,٢٢٣,٢٠٤	٢٠,٣٩٩
١١٠٧	قدماء	١٢,٣٠٣,٥٣٠	٧,٤٩١	٩,٨٨٢,١١١	٤,٢٨٨	٢١,٠٤٨,١٥٧	٢٩,٤٢٢
١١٠٨	جدد					٤,٦٩٦,١٩	٤,٩٨١
١١٠٩	قدماء	١٥,١٤٠,٠٧٢	٩,٧٥٣	١٣,٤٠١,٦٥٢	٨,٤٧٦	٢٤,٣٩٢,٧٠٠	٢٢,٢٨٥
١١٠١٠	جدد					٣,٧٧٩,١٠٢	٣,٢٤٨
١١٠١١	قدماء	١٢,٢١٩,٣٦٢	١٠,٧٧٩	١٢,٢٣٧,٦٦٨	٩,٦٦١	٢٦,٣٧٦,٩٤٦	٢٢,٣٩٩
١١٠١٢	جدد					١,١٦٨,١٠٢	١,٨٤٤
١١٠١٣	قدماء	١٥,٧٨١,١٣١	١٠,١٤٢	١٣,٣٩٠,٩١٨	٦,٣٤٧	٢٧,٨٧٦,١٧٢	٢٣,٢٦٤
١١٠١٤	جدد					٨٣,١٩٨,١١١	٧٨,٤٤٧

دخل الخزانة العامة ومصروفها بناء على ارقام الروزنامة
لا يمكن ترتيب الروزنامة وارقام السياسة من عملية الجمع. ولذا كانت ارقام الروزنامة
تجمع بعد كتابتها بالارقام الهندية المستعملة حاليا في دفتر خاص لهذا العمل. وتجمع
النقدود تبعا لانواعها ثم تحول الى الآقة، ويعطى مجموع ارقام الدخل اي ما ورد الى
الخزانة نقدا. وتجمع ارقام المصرف اي ما خرج من الخزانة نقدا ايضا حسب انواعها
وتحول الى الآقة فتشكل رقم المصرف. اما المبالغ التي صرفت محليا فانها تشكل
المحسوب فتخصم الى الدخل وتشكل مجموع الدخل او تضاف الى المصرف وتعطي رقم
مجموع المصرف (الرسم البياني رقم واحد يمثل هذه الارقام الثلاثة والجدول رقم ١٣
يعطي المبالغ السنوية التي يعتمد عليها الرسم البياني) والدفاتر التي كانت تستخدم
لجمع ارقام الروزنامة يطلق عليها اسم (دفتر الارقام واجناس النقدود). وقد اشير في
جانب الرسم الى الخطوط وما يمثل كل منها من محسوب ومجموع دخل ومجموع
مصرف.

الجدول رقم (١٣)

مقدار ما دخل الخزانة من مبالغ وما خرج منها
والمصروف محلياً من الجبايات المحلية
أي المحسوب حسب مفاتير اليومية للخزانة

والرسم البياني رقم ١ يعطي فكرة عن ما يدخل الخزانة ويخرج منها نقداً أيضاً حسب الشهور الشمسية والقمرية. وهو يعطي فكرة عن طبيعة تدفق الدخل والمصروف بالنسبة للمواسم وبالنسبة لدفع اقساط المواجب. فالخط العريض الأسود يفيد أن الدخل كان يتجمع في الخزانة. وكان وقت الجبايات في آب (أغسطس) وأذار (مارس)، ويتم إدخاله للخزانة بعد قليل يسبب مسافة الطريق، والخط المكسر الرفيع يمثل الدفع، وطبيعته مبنية على السنة الهلالية.

وكان موعد الدفع آخر كل ثلاثة أشهر قمرية. (لكن الدفع كان يؤجل بسبب امكانيات الخزانة وضرورة انتظار تجمع ما يقابل دفع قسط أو قسطين في الخزانة. والرسم البياني هو لدورة ثلاثة سنين ونصف هلالية من ١١١١ إلى منتصف ١١١٢هـ. (منتصف ١٦٩٩ إلى نهاية ١٧٠١هـ).